Journal Of the Iraqia University 64-1(30-11) November(2023)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

حوار النبيّ صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية

-دراسة حجاجية-

د. بخيت بن حمود السّناني

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والبلاغة بكلّية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

a dialogue Prophet Mohammad - Peace Be Upon Him - with Bedouin Argumentative Study People

Dr Bakheet bin Hamoud Al-Sinani

Assistant Professor at the Department of Rhetorics at the Faculty of Arabic Language at the Islamic University of Madinah
dr_alsanani@iu.edu.sa

DOI 10.58564/MABDAA.62.2.2023.412

Abstract

This research is assigned of tracking Prophet Mohammad Peace Be Upon Him discussion with bedouin and nomadic people‹it's supported by analytical induction method through analysing sites of evidence and inference types of arguments and the techniques that might me remarkable, and finally it's effect on the recipients.

This study come out in introduction, preface, and four researches talk about authentication of the single word, augment of its compositions, methods argumentative, and finally argumentative of the form.

The study turned out of variety of results, perhaps one the important that it become clear in the discussion of Prophet Peace Be Upon Him with nomadic that the features of the argument persuasion speech.

Also, it comes into view through persuasion influence and the eloquence styles.

In addition to that, Prophet Mohammad Peace Be upon Him was relying on interrogative as it appeared via questions and answers to force the opponent by proof and evidence.

Keywords : a dialogue -Prophet Mohammad Peace Be Upon Him - Bedouin People - Argumentative

المستخلص

تعنى هذه الدّراسة بتتبع حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعراب وأهل البادية، وتعتمد على المنهج الاستقرائي التّحليلي، من خلال استقراء مواطن الشّاهد وتحليلها، واستنتاج أنواع الحجج وأساليب الحجاج البارزة فيها، وأثرها على المخاطبين، وقد جاءت الدّراسة في مقدّمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، تحدث أوّلها عن حجاجية الكلمة المفردة ، ثم حجاجية التّراكيب، ثم حجاجية الأساليب، وأخيرًا حجاجية الصّورة، وقد خرجت الدّراسة بجملة من النّتائج لعلّ من أهمّها، أنّه قد تجلّت في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية خصائص الخطاب الحجاجيّ الإقناعي، وبرز من خلاله الأثر الإقناعيّ للوسائل والأساليب البلاغية، كما ظهر من خلال هذه الدّراسة اعتماد حواره صلى الله عليه وسلم على الاستفهام القائم على السّؤال والجواب وبروزه وسيلة حجاجية لإلزام الخصم، بالحجّة والبرهان.

حوار–النبي صلى الله عليه وسلم– أهل البادية– حجاجية

المقدمة:

الحمد الله القائل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

الحوار ظاهرة أسلوبية لها قيمتها الفنّية والحجاجية والإقناعية، والتّشويقية، عرفها الإنسان الأوّل، ووردت نماذجها منذ بدء الخليقة، فحوار ابنَي آدم من أقدم ما وصلنا من الحوار الإنسانيّ.

كما يعدّ الحوار مكوّنًا هامًّا من مكونات الخطاب النّبوي، بل إنّه سمة ظاهرة من سمات خطابه صلى الله عليه وسلم، وهو حوار غاية في البلاغة والفصاحة، كما أنّه يسير على نسق أدائي مؤثر في العقول والشّعور والوجدان.

وكان صلى الله عليه وسلم يراعي في حواره أحوال المخاطبين وثقافاتهم، فحاور صلى الله عليه وسلم المسلمين المستفهمين، وحاور الحائرين المترددين، وحاور المشركين المعاندين، كما حاور صلى الله عليه وسلم الحاضرة أهل المدن وحاور الأعراب أهل البادية، وكان عليه الصّلاة والسلام يخاطب كل قوم بما يناسبهم، ويصل إلى وجدانهم وأفهامهم، جاعلًا لكل مقام مقالًا، ولكل مخاطب ما يناسبه من الخطاب.

ولعل من أشهر من حاورهم النبي صلى الله عليه وسلم الأعراب من أهل البادية، وكانوا كثيرًا ما يفدون إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستفهمين، أو مناقشين، أو منكرين، وكان عليه الصّلاة والسّلام خبيرًا بأحوالهم، يخاطبهم بأقدار معارفهم وما يفهمون، متبسّطًا معهم، هيّنًا ليّنًا رفيقًا بأحوالهم، وكان حواره صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية محط عناية واهتمام من أصحابه رضوان الله عليهم حتى إنّهم لينتظرون هذه الحوارات ويستمعون إليها بشغف؛ لذا ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال:" نُهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرّجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع"[١]

وكان صلى الله عليه وسلم يطيل أحيانًا في حواره معهم، ويفتح آفاقًا للحوار والنّقاش معهم، ويقصر في أحيان أخرى حتى إنّه ليُجيب السائل بكلمة واحدة، تفي بالغرض المقصود؛ ولكثرة ما ورد من نماذج الحوار بين النّبي صلى الله عليه وسلم وأهل البادية، ولما لمست فيه من تنوع وخصوصية رأيت أن أفرده بدراسة مستقلة عنونتها بـ**(حوار النبيّ صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية -دراسة حجاجية-)**.

١- أهمّية الدّراسة وأسباب اختيارها:

تتلخص أهمية هذه الدّراسة في الأسباب الآتية:

١-خصوصية حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية، وما يتميز به من البساطة والمباشرة.

٢-تعدد حوارات النبيّ صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية وتنوّعها، وتنوع أساليبها، وما فيها من بلاغة رائقة، وأساليب حجاجية مثمرة.

٣-ما وجدتُه في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعراب وأهل البادية من آليات حجاجية لغوية ومنطقية وإقناعية.

٤-قلة الدّراسات التّطبيقية الحجاجية على أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

٢- مشكلة الدّراسة:

تحاول الدّراسة الإجابة على السّؤال التّالي:

ما الآليات الحجاجية المستعملة في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعراب وأهل البادية، وما أثرها على إقناعية الخطاب وما تأثيرها على المخاطب؟

٣- الدّراسات السّابقة:

لم أجد فيما وقفت عليه من الدّراسات السّابقة دراسة أفردت حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية بدراسة مستقلة خاصة، ولكنني وجدت عددًا من الدّراسات عن حوار النبي صلى الله عليه وسلم إجمالًا، ومنها:

١-الحوار في الحديث النبوي الشّريف-دراسة بلاغية لأحاديث مختارة، بحث تكميلي للباحثة علوة بنت عابد عبد الله الحسّاني، كلية الآداب والعلوم الإدارية بجامعة أم القرى، قسم اللغة العربية، وهي دراسة بلاغية عامة للحوار في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهي تختلف عن دراستي في عمومها للحوار، وفي تخصصها في الجانب البلاغي فقط، أمّا دراستي فهي مخصصة بحوار أهل البادية من جهة، وبالدّراسة الحجاجية من جهة أخرى.

٢- آليات الخطاب الحجاجي في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأنصار عقب غزوة حنين.

للدّكتور: رمزي السّيد سيد أحمد حجازي، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود بجامعة الأزهر.

وهي دراسة مخصصة بحوار واحد وهو حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأنصار عقب غزوة حنين، وهذا الحوار ليس داخلًا ضمن حدود دراستي.

ومن هنا يتضح أنّ هذه الدّراسات تختلف عن دراستي، ولكن هذا لا يعني عدم إفادتي منها، بل إنّها جميًعا مكملة لهذه الدراسة وممهدة لطريقها.

٤- خطّة الدّراسة:

تشتمل الدّراسة على مقدّمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وذلك على النّحو التّالي:

المقدّمة: تشتمل على أهمية الدّراسة وأسباب اختيارها، والّدراسات السّابقة فيها، وخطّة الدّراسة ومنهجها.

التّمهيد: ويشتمل على: مفهوم الحوار، والحجاج.

المبحث الاوّل: حجاجية الكلمة

المبحث الثّاني: حجاجية التّراكيب

المبحث الثّالث: حجاجية الأساليب

المبحث الرّابع: حجاجية الصّورة

الخاتمة: وتشتمل على أهمّ نتائج الدّراسة وتوصياتها.

الفهارس: وتشتمل على فهرس المصادر والمراجع.

منهج الدّراسة:

سأعتمد في هذه الدّراسة على المنهج الاستقرائي التّحليلي، من خلال استقراء مواطن الشّاهد وتحليلها، ومحاولة استنتاج أنواع الحجج وأساليب الحجاج البارزة فيها، وأثرها على المخاطبين.

التمهيد:

مفهوم الحوار: الحوار في اللغّة: من الجذر(حور)، وهو الرّجوع عن الشيء وإلى الشيء، ويقال: حار بمعنى رجع، وهم يتحاورون أي: يتراجعون، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[٢]، ويقول الرّاغب: "الحوار التّردد إمّا بالذّات وإمّا بالفكر"[٣]، قال ابن فارس: [٤]"الحاء والواو والرّاء، ثلاثة أصول أحدها لون، والآخر الرّجوع، والثّالث أن يدور الشيء دورًا، فأما الأول فالحور: شدة بياض العين في شدة سوادها... وأما الرجوع، فيقال حار، إذا رجع... والعرب تقول: " الباطل في حور " أي رجع ونقص، وكل نقص ورجوع حور... والأصل الثالث المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة. ويقال حورت الخبزة تحويرًا، إذا هيأتها وأدرتها لتضعها في الملة"، إذن الحوار في أحد معانيه اللغوية، يدور حول تراجع الكلام والتجاوب فيه، والحوار في الاصطلاح: "الحديث المتبادل بين شخصين أو أكثر بحيث يتم تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة"[٥]

١- مفهوم الحجاج:

الحِجَاج في اللّغة مأخوذ من مادة (ح ج ج)، قال الخليل: "المحجة قارعة الطريق الواضح، والحجة؛ وجه الظفر عند الخصومة، والفعل حاججته فحججته، واحتججت عليه بكذا، وجمع الحجة؛ حجج، والحجاج المصدر"[٦]، قال ابن منظور: "حاججته أحاجه حِجاجا ومحاجَّة حتى حججتُه؛ أي غلبته بالحُجج التي أدليت بها، والحجة؛ البرهان، والحجة ما دوفع به الخصم، والتّحاجج التّخاصم، والحجة؛ الدّليل والبرهان، وأحج خصمي؛ أغلبه بالحجة".[٧]

إذن الحجاج في اللّغة يدور حول معاني التّخاصم والمغالبة بين طرفين أو أكثر كل منهم يروم إقناع مقابله برأي ارتضاه وآمن به، ويحاول دحض ما يراه خصمه من خلال حجج يلقيها، فلا حجاج إذن إلا بمرسل (مُحَاجِج) ومرسل إليه (محاجَج)، ورسالة (بأنواعها المختلفة).

أمّا في الاصطلاح فإنّ؛ نظرية الحِجاج واسعة، والنّظر إليها له جوانب متشعبة ومتعددة، وتتجاذبها اتجاهات متنوعة، حاول كثيرون إيجاد تعريف مانع جامع له، ولكن كلًّا منهم عرفه من زاوية معينه ،ولذا تعددت محاولات تعريفه عند علماء العرب وعند الغربيين.

أمّا عند العرب فلعل من أوائل الإشارات، ما ذكره متقدمو البلاغيين باسم "المذهب الكلامي"، أو "الاحتجاج النظري"، وقد عدّه ابن المعتز في كتابه البديع أحد ألوان البديع الخمسة، وعرّفه بأنّه "إيراد حجة على المطلوب على طريقة أهل المنطق، وهي أن تكون المقدمات مستلزمة للمطلوب"[٨]، وذكر أن الجاحظ هو من أطلق عليه هذا الاسم.[٩] وسميّ المذهب الكلاميّ لأنّه "يُسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على إبطال حجج خصومهم"[١٠]. وعرّفه ابن الأثير الحلبيّ بأنّه: [١١]"احتجاج المتكلم على خصمه بحجّة تقطع عناده، وتوجب له الاعتراف بما ادّعاه المتكلم، وإبطال

ما أورده الخصم"، وسماه جماعة الاحتجاج النّظري، منهم أبو حيان الأندلسي، وابن القيم، وابن النّقيب[١٢].

وقد تحدّث علماء العرب المتقدمون عن الحجاج وعدُّوه "من أرفع العلوم قدرًا وأعظمها شأنًا؛ لأنه السّبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حُجَّة ولا اتَّضحت محجَّة، ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم"[١٣]

وقد ربط كثير من علماء العربية بين الجدل والحجاج، قال ابن وهب: "أمَّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد بهما إقامة الحجّة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والدّيانات وفي الحقوق والخصومات، وفي التّسول والاعتذارات"[١٤].

أمّا عند الغرب فقد ارتكز مفهوم (الحِجاج) على جملة من الاستراتيجيات الخطابية التي يعتمد من خلالها المحاجج (أي: المتكلم) إلى استمالة المحاجَجين (أي: المتلَقِّين)؛ قَصدَ تحقيق غاية محددة، تتمثل في إثبات الرأي وإقناع الغير به، ولذلك يعرف الحِجاج في معناه العام بأنّه: مجموعة من الخطط والاستراتيجيات الخطابية، تستخدم من قبل (المخاطِب) قصد إقناع جمهوره ومتلقيه[١٥]ويعدّ العالم البلجيكي شاييم بيرلمان (Chalm per leman) واحدًا من الرّواد في التنظير لمفهوم الحجاج أو البلاغة الجديدة كما أسماه[١٦]، إذ قدم له تصورًا جديدًا؛ حيث ذكر أنه يقصد به: "دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم"[١٧].

المبحث الاوّل: حجاجية الكلمة:

حين يتمكن المتكلم من مفرداته فإنّه يصبح قادرًا على شحن المفردة بشحنة إقناعية عاطفية حجاجية، تصبح الكلمة من خلالها قادرة على التّأثير والإقناع، إن الكلمة المفردة بما يتهيأ لها من ممكنات قادرة على أن تستثير مكامن النّفس الإنسانية، فتثير في المتكلم مشاعر الرّغبة أو الرّهبة تمهيدًا لحمله على الاقتناع.

إنّ مادة الكلمة الأصلية، وحروفها، ومدلولاتها، وما تكتسبه من روافد تاريخية لها دور كبير في تأثيرها، وقوة إقناعها.

إن المفردة قابلة لحمل الكثير من الدّلالات المتنوعة، كما أنّها "قابلة لأن تكتسب –بالإضافة إلى معناها المعجميّ– سمات دلالية إضافية من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه، وبالمقام الذي تستعمل فيه، وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في ذلك المقال والمقام بفضل مالها من قيم دلالية مختلفة بعضها مستمدة من اللّغة نفسها وبعضها متأتٍّ من الاستعمال والتّداول"[١٨].

وقد كان للمفردة في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية أثرٌ حجاجيٌّ بيّنٌ، ذلك أن مفردات الحوار إمّا أن تكون صادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، أو صادرة من عربي من أهل البادية الأقحاح أهل الفصاحة والبلاغة واللّسن.

ولعل أبرز ما تتميز به المفردات الدّقة في اختيار المفردة، وذلك من خلال تخير وانتقاء مفردة دون غيرها من مرادفاتها، وذلك وفق ما يقتضيه المقام والسّياق الذي ترد فيه، ذلك "إنّ الاختيار قانون حجاجيّ عام يعني الاختيار الدّقيق الواعي لدقائق الخطاب قبل قضاياه الكبرى"[١٩].

والمتمعن في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية يجد الدّقة في اختيار المفردة سواء كان ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم أو من الطّرف الآخر، وسأستعرض بعض المفردات وما فيها من الدّقة وحسن الاختيار، ومن ذلك ما روي عن أسامة بن شريك أنّه قال: "**شَهِدتُ الأعرابَ يسألونَ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ: أعلينا حرجٌ في كذا؟ أعلَينا حرجٌ في كذا؟ فقالَ لَهم: عبادَ اللَّهِ! وضعَ اللَّهُ الحرجَ إلَّا منِ اقترضَ من عرضِ أخيهِ شيئًا؛ فذاكَ الَّذي حُرِجَ. فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، هل علينا جناحٌ ألّا نتداوى؟ قالَ: تداوَوا عبادَ اللَّهِ؛ فإنَّ اللَّهَ سبحانَهُ لم يضع داءً إلَّا وضعَ معَهُ شفاءً إلَّا الْهرمَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ ما خيرُ ما أعطِيَ العبدُ؟ قالَ: خُلُقٌ حسنٌ**"[٢٠]

هذا حوار بين المصطفى صلى الله عليه وسلم وبعض الأعراب من أهل البادية، وهم في هذا الحوار مستفهمون متعلمون، يسألون عن أمور دقيقة من دقائق أمور حياتهم العامة، فليسوا هنا معاندين أو متكبرين، أو مترددين، ولكنّهم يستفهمون استفهام من يطلب العلم ليعمل به، والأعراب هنا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الأمور، وعن وقوعهم في الحرج بفعلها، فَلِمَا رآه النبي صلى الله عليه وسلم من بساطة مسألتهم، أجابهم بإجابة عامة وهي أن الله–عز وجل– قد رفع الحرج عنهم في كثير من الأمور وأنها أمور يسيرة سهلة، ولكنّه شدد في أمر الغيبة والنّميمة وأن من فعلها فكأنّما أكل من لحم أخيه ميّتًا.

وقد كان صلى الله عليه وسلم دقيقًا في اختيار مفرداته فمن ذلك إيثاره لمفردة(**الحرج**)، دون غيرها، والحرج التّحريم، والحرج: الإثم والضيق، يقال: حرج علي ظلمك: أي حرمه. وأحرجها بتطليقه: أي حرمها"[٢١]، ومن وجوه الدّقة في التّعبير بالحرج هنا تعدد معاني الحرج بين التّحريم والمنع والضيق، وهذا معنى يقتضيه المقام، ذلك لتعدد المسؤول عنه وتعدد المعتقد فيه بين التّحريم والضيق والمنع والحرج، كما أنّ وصف المحرم بالحرج، فيه ما فيه من التنّبيه على البعد عنه حتى لا يقع المرء في ضيقه وحماه، بل في ذلك أشدّ التعبير عن البعد عنه وعدم الاقتراب من حوزته.

ومن الألفاظ الدّقيقة المستعملة في الحديث إيثار لفظ **(الاقتراض)** لمعنى الغيبة، وذلك لما يدل عليه لفظ الاقتراض من القطيعة التّامة، قال في اللّسان: "القرض: القطع. قرضه يقرضه، بالكسر، قرضا وقرضه: قطعه"[٢٢].

وفي تسمية الغيبة بالاقتراض تحذير شديد منها ومن خطرها وسوء أثرها وما يؤول إليه أمرها من التّقاطع والتباغض بين النّاس، قال ابن منظور: [٢٣]"والمقارضة: تكون في العمل السيء والقول السيء يقصد الإنسان به صاحبه"، كما أنّ في تسميتها بهذا الاسم ما يوحي بأنّها سلف ودين فما يفعله الإنسان بالآخرين من الغيبة هو دين سيجازى به إن آجلًا وإن عاجلًا.

ومن الدّقة في اختيار اللفظ، إيثار الأعراب للفظة **(جناح)**، للتعبير عن معنى الإثم، وفي إيثار لفظ الجناح دقّة في الاختيار، فمعنى السّؤال أصلاً هل علينا إثم في التّداوي؟ لكنّهم ذكروا الجناح بدلًا عن لفظ الإثم، ولعّل هذا عائد لما يرتبط بلفظ الإثم من إيحاء ودلالا متنوعة، تؤديها لفظة الجناح، فالجناح يشير إلى معنى الميل، "سمحوَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِسجى، أي مالوا للصلح قوله: سمحلَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌسجى، أي مأثم وميل إلى الحق، يقال: جنح إليه: أي مال"[٢٤]

ولعل هذا ما يفسر اختيار الأعراب للفظ (الجناح) لما يوحي به من خوفهم من مجرد الميل لا إلى الوقع، فالسائل حين سأل يريد أن يستبرئ لنفسه من مجرد الميل، كما أن الميل إلى الحرام والإثم خطر جسيم على الإنسان يدفعه له شهوة النفس ورغباتها، لقد ظن الأعرابي أنّ التّداوي قد ينافي التّوكل على الله، مع أن التّداوي وطلب العلاج أمر مرغوب، فخاف الأعرابي من أن تميل نفسه له وهو ينافي التّوكل فيقع في المحظور، ولكنّ النبي صلى الله عليه وسلم أرشده إلى جواز ذلك وأنّه لا يتنافى مع التّوكل، بل هو من تمامه إذ أن الله ما أنزل من داء إلاّ جعل له دواءً، ولذا خاطبهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بلفظ: (عباد الله) وفي هذا دقة منه صلى الله عليه وسلم في اختيار المفردة، إذ توجيه الخطاب لهم بـ: (عباد الله)، يدل على أنّ التّداوي لا ينافي العبودية المطلقة الخالصة التي من مقتضياتها التّوكل على الله عز وجل.

ومن دقته صلى الله عليه وسلم في اختيار المفردات اختياره للفظة **(ويحك)** في حواره مع الأعرابي الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: "**أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَنِ الهِجْرَةِ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! إنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ، فَهلْ لكَ مِن إبِلٍ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاعْمَلْ مِن وَرَاءِ البِحَارِ؛ فإنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِرَكَ مِن عَمَلِكَ شيئًا**"[٢٥]، لقد أعطت هذه المفردة أثرًا تنبيهيًّا هامًا، وثراًء دلاليًّا مميزًا، إن مفردة (ويح) تعني الزّجر، والوعيد الشّديد قال العيني[٢٦]: "ويح كلمة تقال عند الزجر والموعظة والكراهة لفعل المقول له أو قوله"، وكأنّ النبي صلى الله عليه وسلم يقول للسّائل: تنبه قبل أن تلقي هذا السّؤال؛ فالمسؤول عنه أمر عظيم لا ينبغي أن تسأل عنه سؤالًا عابرًا، فأجيبك عنه إجابة عابرة، قال الهرريّ[٢٧]: "(ويحك) أي ألزمك الله الويح والرحمة، وهي كلمة تقال لمن وقع في هلكة ليغاث، أي: أغاثك الله بالرحمة والتوفيق".

ومن دقة اختيار المفردات–أيضًا– إيثار لفظ: **(يَتِرَك)** بمعنى ينقصك على غيرها من المفردات التي تشاركها المعنى، وعنى الحديث أنك إذا كنت تؤدي فرض الله في نفسك ومالك فلا تبال أن تقيم في أرضك وإن كانت أرضك ودارك وراء البحار، إن إيثار لفظ(يتر) بما فيه من معنى الاستمرار والتتابع هو المناسب في هذا السّياق فلا عليك من طول أمد البقاء في أرضك ما استمريت تؤدي فرض الله في نفسك ومالك؛ فلن تنقص أجورك عند الله عز وجل.

إن دقة اختيار المفردات في حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية مزيّة ظاهرة واضحة، وكان اختيار المفردات قائم على الإفادة والإقناع، مما جعل المفردات تؤدي دورها الحجاجي على الوجه الأكمل، وانظر إلى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أحد الأعراب، فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: "**نُهِينا أنْ نَسْأَلَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن شيءٍ، فَكانَ يُعْجِبُنا أنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِن أهْلِ البادِيَةِ العاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ، ونَحْنُ نَسْمَعُ، فَجاءَ رَجُلٌ مِن أهْلِ البادِيَةِ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، أتانا رَسولُكَ فَزَعَمَ لنا أنَّكَ تَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ أرْسَلَكَ، قالَ: صَدَقَ، قالَ: فمَن خَلَقَ السَّماءَ؟ قالَ: اللَّهُ، قالَ: فمَن خَلَقَ الأرْضَ؟ قالَ: اللَّهُ، قالَ: فمَن نَصَبَ هذِهِ الجِبالَ، وجَعَلَ فيها ما جَعَلَ؟ قالَ: اللَّهُ، قالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّماءَ، وخَلَقَ الأرْضَ، ونَصَبَ هذِهِ الجِبالَ، آللَّهُ أرْسَلَكَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا خَمْسَ صَلَواتٍ في يَومِنا، ولَيْلَتِنا، قالَ: صَدَقَ، قالَ: فَبِالَّذِي أرْسَلَكَ، آللَّهُ أمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا زَكاةً في أمْوالِنا، قالَ: صَدَقَ، قالَ: فَبِالَّذِي أرْسَلَكَ، آللَّهُ أمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضانَ في سَنَتِنا، قالَ: صَدَقَ، قالَ: فَبِالَّذِي أرْسَلَكَ، آللَّهُ أمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا حَجَّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلًا، قالَ: صَدَقَ، قالَ: ثُمَّ ولَّى، قالَ: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ، لا أزِيدُ عليهنَّ، ولا أنْقُصُ منهنَّ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ**"[٢٨].

ودقق فيما ورد عن الرّجل كلفظ **(زعم، ونصب)**، وتعرّف على دقة هذا الرّجل في اختيار مفرداته، فالزّعم كما ذكر صاحب اللّسان لا يخرج عن ثلاثة معان؛ الأمر المشكوك فيه، أو الذي لا يؤمن به، أو الكذب[٢٩]، واختيار الرجل لهذا اللفظ إنّما يعبر عمّا في نفسه من التردد والشّك، لذا كان جواب النبي صلى الله عليه وسلم واضحًا صريحًا مباشرًا قاطعًا لكل شك.

أمّا اختيار لفظ(نصب) بمعنى رفع ففيه ما فيه من الإيحاء بالقدرة الرّبانية العظيمة في رفع الجبال بهذه الطريقة وكأنّها أوتاد قد نصبت.

ومن مميزات المفردات في هذا السّياق التركيز على المفردات الواضحة البيّنة، التي لا لبس فيها ليكون المعنى واضحًا مفهومًا مشتركًا بين المتحاورين، ودقق إن شئت في الحوار الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وأحد الأعراب الذي جاء وجلًا، متشككًا في أهله، وانظر إلى ما ورد فيه من مفردات دقيقة وذلك فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: "**أَنَّ رَجُلًا أَتَى النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، وُلِدَ لي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقالَ: هلْ لكَ مِن إبِلٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: ما أَلْوَانُهَا؟ قالَ: حُمْرٌ، قالَ: هلْ فِيهَا مِن أَوْرَقَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فأنَّى ذلكَ؟ قالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هذا نَزَعَهُ**"[٣٠]، إنك لن تجد في هذا الحوار مفردة غريبة، أو بحاجة إلى معجم أو مراجعة أو تدقيق بل تجد حوارًا سهلًا سمحًا واضحًا بينًا لا تعقيد فيه ولا التواء دار بين المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا الأعرابي الحائر.

إن ألفاظ الحوار ومفرداته منتقاة بعناية، كما أنّها مختارة بدقة من بيئة هذا الرّجل الحائر لتزيل من قلبه هم ما يوجده الشك، وقد انتقى له المفردات من بيئته التي يفهمها، فالإبل من بيئته، وألوانها كذلك، وتغير ألوانها، وما تنزعها من منازع، وما تتشكل بها من ألوان.

المبحث الثاني: حجاجية التراكيب:

تعد الآليات التركيبية في كل خطاب حجاجي من أهم الوسائل المؤثرة في فهم الخطاب ومعرفة الأسرار والدّقائق التي تنضوي تحته، إنّ تلمس دلالة التّراكيب بما تحويه من حذف وذِكر، وتعريفٍ وتنكيرٍ، وتقديم وتأخير، وفصل ووصْلٍ، وقصر وعدمه، يمكننا من الغوص في خفايا الخطاب، والكشف عن أغواره ومراميه، وصولًا إلى معانيه الظّاهرة، والضمنية الكامنة في دواخله، لقد خضع حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية لظاهرة أضرب الخبر التي عرفها البلاغيون، وتحدثوا عنها كثيرًا، إذ إن المتكلم حين يلقي كلامه يهدف إلى إفادة المخاطب فائدة هو يقصدها، وعليه أن يقتصر في كلامه على ما يفيد، وأن يأتي به على قدر الحاجة، محاذرًا من لغو الكلام وما لا فائدة منه، فعليه أن يعرف حال محاوره فإن كان محاوره، خالي الذّهن ألقى الكلام إليه غفلًا من التّوكيد، فالتّوكيد لخالي الذّهن خلل في الكلام، إلاّ لغرض يقصده المتكلم، وإن كان المحاور مترددًا مستفهمًا طالبًا للمعرفة حسن توكيد الكلام بما يناسب تردده، وإن كان المحاور منكرًا معاندًا لزم التأكيد له بما يناسب إنكاره، وعليه فإن الخبر حين يلقى لا يخلو من ثلاثة أضرب؛ أوّلها الابتدائي، وثانيها الطّلبي، ثمّ الإنكاريّ، هذه النّظرية البلاغية الإقناعية، هي جزء هام في العملية الحواريّة الحجاجية لحوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية، فأحيانًا يأتي صلى الله عليه وسلم بالحديث بلا توكيد وأحيًانا يأتي به بمؤكد واحد وأحيًانًا بعدّة مؤكدات وذلك وفقًا لأحوال المحاورين ولا يكاد الكلام يخرج عن هذا إلاّ لغرض بلاغي يمكن استنتاجه من الحوار، وانظر إلى حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك الأعرابي الذي جاء مستفهمًا شاكًا، وذلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "**أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي ولدت غلاما أسود، وإني أنكرته، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورق؟ قال: إن فيها لوُرْقًا. قال: فأنى ترى ذلك جاءها؟ قال: يا رسول الله، عرق نزعها. قال: ولعل هذا عرق نزعه** "، جاء الأعرابي إلى النبي والقلق والشّك قد بلغ منه مبلغًا لا يحتمل ، لذا ألقى خبره للنبي صلى الله عليه وسلم مؤكدًا، مع أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكًا ولا منكرًا ولا حاجة للتّوكيد هنا، ولكن الرّجل لما انتابته الشكوك ظن أن الناس كلها تشك في هذا الأمر فقال مخبرًا:" **إن امرأتي ولدت غلاما أسود، وإني أنكرته** "، هنا فهم المصطفى صلى الله عليه وسلم مراد المحاور وما الّذي يهدف إليه من هذا الخبر، فلم يجبه مباشرة ولكنّه فتح معه مساحة حُرَّة للحوار، وهو حوار قائم على الاستفهام لغرض إلزام الخصم، وكأنّه صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول له: من فمك أجيبك، لأنّه يريد أن يقنعه بالحجة لا بخبر يلقيه له عرضًا قد يقتنع به مؤقتًا، ثم يظل الشّيطان يوسوس له ويعود إلى ظنه تارة أخرى، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوب إنشائي استفهامي، "**هلْ لكَ مِن إبِلٍ؟**"، ليأتي الجواب مختصرًا، وبدون مؤكدات: "**نعم**"، ليأتي السّؤال تاليًا، "**ما ألوانها؟**"، فيجيب الأعرابي: "**حمر**"، وهنا أتى بخبره موجزًا مختصرًا بلا مؤكدات، ثمّ استفهام من النبي صلى الله عليه وسلم:" **هل فيها من أورق؟**" فيجيب الأعرابيّ: "**نعم إنَّ فيها لوُرْقًا**"، وكأنّه لكثرة استفهامات النبي صلى الله عليه وسلم قد ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم يشك في صدقه فأكد له الكلام بعدّة مؤكدات (إن، اللاّم، والجمع)، إلى أن تأتي الجملة الأخيرة مقررة للحال، ومجيبة على كل التساؤلات في ذهن الأعرابي: "**ولعلَّ هذا عرق نزعه**"، لقد كان حوارًا هادئًا باعثًا للطمأنينة في نفس هذا الأعرابي المحتار.

وفي حوار آخر قد يلجأ النبي صلى الله عليه وسلم للتأكيد في الحوار لغرض يريده، كما ورد في الحديث السّالف الذكر، حين سأله الأعرابي عن الهجرة، وكأنّه صلى الله عليه وسلم قد أحس من حال الأعرابي أنّه يرى أن الهجرة شرطًا لقبول العمل، فقال له عليه الصّلاة والسلام الله: "**فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِرَكَ مِن عَمَلِكَ شيئًا**"، فأكّد له الكلام تأكيدًا قويًّا بـ(أن)،و(لام الابتداء)، و(اسمية الجملة)، لقد نزّله صلى الله عليه وسلم منزلة المنكر على الرّغم من عدم إنكاره؛ ذلك لما ظهر عليه من علامات الإنكار، كالاستفهام عن الهجرة، نزّل منزلة المنكر، فأتي له بالكلام مؤكدًا، وبناء على هذه القاعدة من التوكيد وعدمه، تأتي تراكيب الكلام لتناسب ما يحتاجه المخاطب لإقناعه.

"إن (فكرة المقام)؛ هي المركز الذي يدور حوله علم الدّلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي ينبني عليه الشّق أو الوجه الاجتماعيّ من وجوه المعنى الثّلاثة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظّروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال"[٣١]

ومن دقائق التّوكيد ما ورد في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع زاهر رضي الله عنه فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال:" **أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا وَكَانَ يُهْدِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هَدِيَّةً مِنَ الْبَادِيَةِ فَيُجَهِّزُهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حاضروه، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا فأتاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ أَرْسِلْنِي فالتفت فعرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عَرَفَهُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذًا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا. فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ**"[٣٢]، فالتّوكيد في قول النبي صلى الله عليه وسلم:" **إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حاضروه**" جاء لغرض دقيق جدًا، وهو تحضير لما سيأتي بعده من الحوار والملاطفة التي جرت بين النبي صلى الله عليه وسلم حين قال له صلى الله عليه وسلم:" **مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟**"، فالتوكيد موجّه لزاهر رضي الله عنه وكل من يسمع الحوار، أنه صديق له وأن الملاطفة متبادلة بينهم، ولأجل أن يزيل ما قد يجده الرجل في نفسه من حرج، فأكّد صلى الله عليه ابتداءً أن الأمر لا يعدو أن يكون مزاحًا وملاطفة بينهما.

ومن خلال نظرة فاحصة في حوار النبي صلى الله عليه وسلم يمكن أن نميز بين عدد من الآليات التركيبية المؤثرة في العمليات الحجاجية ومنها: **الحذف**، يعدّ الحذف من أكثر الظّواهر التركيبية أثرًا، فبها يشحن المتكلم بشحنات دلالية عظيمة، كما أنّها تعمل على إثارة المخاطب ودعوته إلى الاقتناع بما يلقيه إليه الطّرف الآخر من رؤى وأفكار؛ لذا وصفه عبد القاهر الجرجاني بأنّه شبيه بالسّحر فقال[٣٣]: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون بيانًا إذا لم تبن".

إن الحذف عدول عن الأصل، بحيث يكون هذا العدول هو المؤثر في المتلقي وهو المثير لعواطفه، لقد كان الحذف في الحوار النبوي ظاهرًا مؤثرًا في الحوار، وما يتبعه من عمليات إقناعية متنوعة، وسأحاول هنا أن أعرج على بعض مواطن الحذف وأثرها الحجاجي الإقناعي في الحوار.

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: "**أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: "وَيْحَكَ، إِنَّ شَأْنَ الْهِجْرَةِ لَشَدِيدٌ؛ فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ تُؤْتِي صَدَقَتَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا**".

انظر إلى قول النّبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي: "**فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا**"، وتأمّل ما فيه من إيجاز الحذف إذ حذفت جمل متعددة، وأصل الكلام، في قوله: "**فاعمل من وراء البحار**"، الهجرة ليست شرطًا في قبول العمل، ولكن إن أردت الجنة ونعيمها، وإن خفت النّار وعذابها "فاعمل من وراء البحار"، لقد أوجز النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أيّما إيجاز وحذف جملًا متعدّدة اعتمادًا على ذكاء المحاور، إذ هو أعرابي لمّاح ذكيّ شيد الذّكاء، قال العينيّ: [٣٤]" معناه إذا كنت تؤدي فرض الله عليك في نفسك ومالك فلا تبال أن تقيم في بيتك وإن كانت دارك من وراء البحار".

إنّ مراعاة أحوال المخاطبين المتنوعة، من أهم آليات نجاعة الحوار، وإقناعيته، قال السّكاكي[٣٥]: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام (التشكر) يباين مقام (الشكاية) ومقام (التهنئة) يباين مقام (التعزية)، ومقام (المدح) يباين مقام (الذم)، ومقام (الترغيب) يباين مقام (الترهيب)، ومقام (الجد) في جميع ذلك يباين مقام (الهزل)، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛ وجميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر" .

ومن الحذف في حوار النبي مع أهل البادية، حذف المسند إليه في قوله فيما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: **"حين قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ"، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ، فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيُجْرِبُهَا كُلَّهَا؟ قَالَ: فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟"**[٣٦]، ففي قوله:" لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ"، حذف المسند إليه وتقدير الكلام؛ لا تقولوا عدوى ولا تقولوا صفر ولا تقولوا هامة، إذ إن هذه العادة لما أصبحت منتشرة بين العرب، ومتداولة بينهم، أصبحت معروفة لديهم ولذا لم يكن هناك داع للذّكر، وكذلك الحذف في قول الأعرابي:" فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ"، وتقدير الكلام: "تكون باركة على الرّمل"، وحذف المسند لدلالة السيّاق عليه.

ومما يتعلق بحجاجية التراكيب، **التّعريف والتنكير**، ولكل منهما مقام يناسبه، قال الخطيب[٣٧]: "وأمّا بلاغة الكلام فمطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف؛ فإنّ مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام التنكير يباين مقام التّعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التّقييد..".

وإن أردت أن تتعرف على الدّقة في هذا فانظر إلى ما عُرِّف وما نُكِّر في هذا الحوار المفعم بالدقّة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأحد الأعراب، فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **"نُهِينا أَنْ نَسْأَلَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عن شيءٍ، فَكانَ يُعْجِبُنا أنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِن أهْلِ البادِيَةِ العاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ، ونَحْنُ نَسْمَعُ، فَجاءَ رَجُلٌ مِن أهْلِ البادِيَةِ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، أتانا رَسولُكَ فَزَعَمَ لنا أنَّكَ تَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ أرْسَلَكَ، قالَ: صَدَقَ، قالَ: فمَن خَلَقَ السَّماءَ؟ قالَ: اللَّهُ، قالَ: فمَن خَلَقَ الأرْضَ؟ قالَ: اللَّهُ، قالَ: فمَن نَصَبَ هذِهِ الجِبالَ، وجَعَلَ فيها ما جَعَلَ؟ قالَ: اللَّهُ، قالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّماءَ، وخَلَقَ الأرْضَ، ونَصَبَ هذِهِ الجِبالَ، آللَّهُ أرْسَلَكَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا خَمْسَ صَلَواتٍ في يَومِنا، ولَيْلَتِنا، قالَ: صَدَقَ، قالَ: فَبِالَّذِي أرْسَلَكَ، آللَّهُ أمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا زَكاةً في أمْوالِنا، قالَ: صَدَقَ، قالَ: فَبِالَّذِي أرْسَلَكَ، آللَّهُ أمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضانَ في سَنَتِنا، قالَ: صَدَقَ، قالَ: فَبِالَّذِي أرْسَلَكَ، آللَّهُ أمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا حَجَّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلًا، قالَ: صَدَقَ، قالَ: ثُمَّ ولَّى، قالَ: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ، لا أزِيدُ عليهنَّ، ولا أنْقُصُ منهنَّ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ"**

انظر إلى الأعرابي فقد عرّف بعض المفردات ونكّر بعضها، فعرف (السّماء، والأرض، والبيت)بـ(أل) التي للعهد العلميّ، وعرفت(الجبال) بـ(أل) التي هي للاستغراق فالمراد كل أفراد الجبال، وعرف(شهر) بالإضافة إلى (رمضان) لإفادة التّخصيص.

وفي المقابل نكرت(زكاة)، وذلك للتنوع والمراد تعدد أنواعها، ونكرت (صلوات)؛ لبيان عددها فيما بعد (خمس).

كما أنّ نوع المعرفة المستعمل له دلالته وأثره البيّن في أداء الرّسالة على الوجه الأكمل، فمثلا مع الجبل استعمل اسم الإشارة (ونَصَبَ هذِهِ الجِبالَ)، ولم يستعملها مع غيرها للدّلالة على ما يراه ويشاهده من عظمتها، والسماء لا تقل عظمة عنها، ولكن الأعرابي يعرف الجبل جيدًا، ويعرف ما فيها من عظمة أكثر مما يعرفه عن الأرض والسّماء؛ لذلك أشار إليها بما يدلّ على العظمة، إنّ أبرز مظاهر العظمة اللي يعرفها الأعرابي هي الجبال فهي له رمز العزّ ' والشموخ والمنعة والقوّة؛ لذا أشار إليها باسم الإشارة الدّال على التّعظيم.

وانظر إلى التّعريف والتنكير في حوار آخر للنبي صلى الله عليه وسلم مع أحد الأعراب، فيما رواه أبو سعيد الخدريّ، رضي الله عنه: **"أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَنِ الهِجْرَةِ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! إنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ، فَهلْ لكَ مِن إبِلٍ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاعْمَلْ مِن وَرَاءِ البِحَارِ؛ فإنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِرَكَ مِن عَمَلِكَ شيئًا"**، فقد عُرّفت ألفاظ (الهجرة، البحار)، بـ(ال)، وهي في الأولى للعهد أي الهجرة المعروفة المعهودة في زمنهم، وفي الثّانية للاستغراق، أي من وراء أي بحر من البحار، بعيد أو قريب، صغير أو كبير.

وفي المقابل نكرت ألفاظ (إبل وشيئًا)، لعدم العناية بمعرفة هذه الإبل نوعًا وعددًا بل المراد أنّ له إبلًا يؤدي صدقتها، وللتقليل في (شيئًا)، بمعنى أنّ الله لن يحرمك من أجر أي عمل ولو كان عملًا قليلًا يسيرًا.

ومن الآليات الهامة التي استعملت في هذا الحوار التفنن في الفصل والوصل، وهو باب ذو قيمة عظيمة في الرّبط بين الجمل، وعلاقة الجمل بعضها ببعض، وللفصل والوصل قيمة حجاجية وإقناعية، "وتمثل خيارات الفصل والوصل بين الجمل المتعالقة معيارًا موثقًا يعيننا على قياس بلاغة المتكلم، إذ تمكننا من التّعرف على قدراته على ترتيب أفكاره، وعقد الصلات الرابطة بين جمله وعباراته، كما تعيينا على الكشف عمّا تتسم به أجزاء الكلام البليغ من تلاحم وتلاؤم وحسن حبك وجودة سبك"[٣٨].

وفي حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية ظهرت الدّقة في ربط الجمل ببعضها البعض لتكشف لنا عن تلاحم بين أجزاء الكلام، وترتيب الأفكار.

وتأمل معي دقّة الوصل في قول الأعرابي: "**فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّماءَ، وخَلَقَ الأرْضَ، ونَصَبَ هذِه الجِبالَ، آللَّهُ أرْسَلَكَ**"، عطفت الجمل على بعضها للتّوسط بين الكمالين، فالجمل الخبرية متناسبة في اللفظ والمعنى، وتجمعها القدرة الإلهية العظيمة في خلق السماء وخلق الأرض ونصب الجبال، وكذلك نلاحظ دقّة الوصل في قول الأعرابي:" **لا أزِيدُ عليهنَّ، ولا أنْقُصُ منهنَّ**"، فقد وصل بين الجملتين للتّوسط بين الكمالين أيضًا فكل من الجملتين خبرية، لفظًا ومعنى.

وفي حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع زاهر رضي الله عنه، الذي رواه أنس بن مالك: "**أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا وَكَانَ يُهْدِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هَدِيَّةً مِنَ الْبَادِيَةِ فَيُجَهِّزُهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حاضروه، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا فأتاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ أَرْسِلْنِي فالتفت فعرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ لَا يَأْلُوا مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عَرَفَهُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذًا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا. فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ**"، فمن مواضع الوصل، قول المصطفى صلى الله عليه وسلم "إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حاضروه"، فالجملتان خبريتان، مبنيتان على التّضاد، أما الفصل ففي قول الأعرابي:" **مَنْ هَذَا؟ أَرْسِلْنِي**"، إذ الفصل بينهما لكمال الانقطاع فالأولى استفهام والثّانية أمر.

ولأسلوب القصر دوره وتقنياته الحجاجية الجلية، تأييدًا لما يشحنه المتكلم فيه من حجج وبراهين، ولذا يعدّ القصر من أهم العوامل الحجاجية اللّغوية، وهو من أهم استراتيجيات الخطاب المتبعة لإقناع المتلقي وحمله على التّصديق، وقد حفل حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعراب بعدد من الآليات الإقناعية ومنها أسلوب القصر كما ورد في حواره صلى الله عليه وسلم مع أحد الأعراب فيما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "**قالَ أَعْرَابِيٌّ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، والرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، ويُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، مَن في سَبيلِ اللَّهِ؟ فَقالَ: مَن قَاتَلَ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي العُلْيَا، فَهو في سَبيلِ اللَّهِ**"[٣٩]، ففي قوله صلى الله عليه وسلم: "مَن قَاتَلَ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي العُلْيَا، فَهو في سَبيلِ اللَّهِ"، قصر صفة على موصوف إذ قصر العلو على كلمة الله، وهذا رد على ظنّ الأعرابي أن هناك مدخلًا للقتال في سبيل الله من الأنواع الثّلاثة التي ذكرها، فجاء الرّد من المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه ليس شيءٌ مما ذكرت من الأنواع في سبيل الله، وأن القتل الوحيد الذي يكون في سبيل الله هو ما أريد به أن تكون كلمة الله هي العليا.

لقد كان للبنية التّركيبية في حوار المصطفى صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية أثرٌ مهمٌّ في توجيه الجمل وجهة واضحة نحو هدف يريده المتكلم، لتؤثر في المخاطب، وتوجه قناعاته.

المبحث الثالث: حجاجية الأساليب:

للأساليب التي يستعملها منشئ الخطاب أثرها الحجاجي الإقناعي، وفي هذا المبحث سأستعرض جملة من الأساليب اللغوية التي كان لها أثرها الحجاجي الإقناعي في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية، ومن هذه الأساليب:

١-الاستفهام:

اعتمد حوار النبي صلى الله عليه وسلم على الاستفهام كثيرًا، بل يمكن أنّ نعده المنطلق الأوّل والأهم لحوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعراب وأهل البادية، وذلك لما له من قيمة عظيمة في الإقناع، وإلزام المحاور بالنّتيجة التي يرغبها المتكلم، ومن ناحية حجاجية عدّ "فلاسفة اللّغة (أوستن- سيرل) الاستفهام ضمن الأفعال الإنجازية، كما ميّز كل من (ديكرو)، و (انسكومبر) في فصل من كتابهما "الحجاج في اللّغة"، نوعًا من الاستفهام وأطلقا عليه "الاستفهام الحجاجيّ"، وهو نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله، انطلاقًا من قيمته الحجاجية، بمعنى أنّ الاستفهام يحمل افتراضات ضمنية غير مصّرح بها تجعل منه يحمل استفهامًا حجاجيًا"[٤٠].

وفي حوار النبي صلى الله عليه وسلم، كان كثيرًا ما يرتضي الاستفهام منطلقًا لحواره مع الطرف الآخر ووسيلة إقناعية لإلزامه بالحجة، بل إنّه صلى الله عليه وسلم كان كثيرًا، ما يلزم الطّرف الآخر بالنتيجة من خلال الاستفهام، وانظر إلى الأثر الحجاجي لأسلوب الاستفهام في حواره مع الأعرابي الذي جاء شاكًا في ولده، مترددًا في نسبته إليه، وكيف استطاع الرّسول صلى الله عليه وسلم إقناعه من خلال عدد من الاستفهامات المتتالية، وصولًا، إلى أن جعل الأعرابيّ نفسه يراجع نفسه، ويجيب على دعواه، وذلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "**أن أعرابيًّا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، وإني أنكرته، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل؟ قال: نعم.**

قال: فما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال: إن فيها لورقًا، قال: فأنى ترى ذلك جاءها؟ قال: يا رسول الله، عرق نزعها، قال: ولعل هذا عرق نزعه "، وتأمل كيف أدير الحوار الاستفهامي بطريقة أزالت شكوك المحاور.

كان بإمكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصّادق المصدوق، إن يجيبه إجابة خبرية تنهي الكلام، وتقطع الحوار، ويقول له بأنّه ولده وينتهي الكلام، ولكن النبي آثر الحوار الهادي المنطقي منهجًا، ولعله صلى الله عليه وسلم يهدف من هذا الأسوب الحواري لأمرين؛ أوّلهما: خاص بالحالة الماثلة، وهي أن يصل الأعرابيّ إلى قناعة صادقة راسخة أنّ هذا الأمر ممكن بدليل وجوده في إبله التي يعاينها أمامه، فمثل له بنظير من بيئته المعاينة، وليس الخبر كالمعاينة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أراد صلى الله عليه وسلم أن تكون الإجابة عامة نافعة لكل أفراد الأمّة فكل من رأى في عقبه تغيرًا في لونه أو صفاته عليه أن يطّرح وساوس الشّيطان، ويتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم" **ولعل هذا عرق نزعه**"، في هذا الحديث حوار مكتمل الأركان قائم على قياس النّظير على نظيره، دالّ على التّسليم، وينتزع الجواب من فم الطرف الآخر انتزاعًا سهلًا لينًا، إن بداية كسب النبي صلى الله لقناعة المحاور في هذا الحوار حين قال الأعرابي:" **عرق نزعها**"، فجاء الخبر من النبي صلى الله عليه وسلم متمّمًا "**ولعل هذا عرق نزعه**".

وفي حوار آخر ينهي صلى الله عليه وسلم الحوار، باستفهام مفحم، أوصل المحاور إلى قناعة راسخة، وذلك في قوله فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "**حِينَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ"، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ، فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيُجْرِبُهَا كُلَّهَا؟ قَالَ: فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟**"، الحوار بدأ باستفهام من الأعرابي، وهو حوار يحمل في طياته العجب، فكيف يقول النبي صلى الله عليه وسلم" **لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ**"، مع أنّه يرى أن الإبل تكون سليمة في الصّحراء ثم يدخلها بعير أجرب فيصيبها بالجرب؟ وكأنّه رأى أن هذا يتعارض مع قول الرّسول صلى الله عليه وسلم "**لا عدوى**"، فجاء الجواب باستفهام مفحم" **فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟**".

٢-الأمر:

يعدّ الأمر من الأفعال الإنجازية في الحجاج، ويتمثل إنجازه في دفع المتكلم المخاطب القيام بفعل معين، فهو مؤثر في المخاطب، وموجّه له إلى سلوك يريده المتكلم، ومن أمثلة ذلك في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعراب وأهل البادية، ما ورد في الحوار الذي رواه أسامة بن شريك رضي الله عنه وفيه قوله: "**شَهِدْتُ الْأَعْرَابَ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا؟ أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا؟ فَقَالَ لَهُمْ: عِبَادَ اللَّهِ، وَضَعَ اللَّهُ الْحَرَجَ، إِلَّا مَنِ اقْتَرَضَ، مِنْ عِرْضِ أَخِيهِ شَيْئًا، فَذَاكَ الَّذِي حَرِجَ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ عَلَيْنَا جُنَاحٌ أَنْ لَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، لَمْ يَضَعْ دَاءً، إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْهَرَمَ**"

فالأمر في قوله صلى الله عليه وسلم: "**تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ**"، فالنبّي صلى الله عليه وسلم لم يجبهم بما يوافق سؤالهم، ولو أراد صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بما يوافق سؤالهم لقال: "نعم عليكم جناح في ترك الدّواء؛ ولكنّه صلى الله عليه وسلم أجابهم بفعل الأمر (تداووا)، مستفيدًا من القوّة الإنجازية لفعل الأمر، وهي أنّ التّداوي واجب أو مندوب في أقل أحواله، بما يدل عليه فعل الأمر، كما أن في جوابه صلى الله عليه وسلم تلطف معهم فلم يرد أن يجيبهم بالإثم تصريحًا، ولكنه أشار بذلك إلى أنّ التداوي واجب، وبالتّالي يفهم منه أنّ تركه إثم، وبالتّالي فإن فعل الأمر هنا حمل قوّة إنجازية حجاجية ، وهي تحمل نتيجة ضمنية أن ترك التّداوي إثم، مع الاحتفاظ بمستوىً عالٍ من التّلطف مع المخاطب بما يضمن توجيهه إلى ما يهدف إليه المتكلم.

٣-النّهي:

وهو من الأفعال الإنجازية التّوجيهية-أيضًا- فهو يدفع المخاطب إلى الكف عن فعل لا يريد المحاور من الطّرق الثّاني أن يفعله، ومن نماذجه في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعراب وأهل البادية، ما ورد فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال الرّسول صلى الله عليه وسلم: "**لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ**"، نهي صريح عن عادة سائدة عند أهل الجاهلية، والنّهي أدى حجةّ إنجازية ضمنية مفادها: اتكلوا على الله، ودعوا العادات السيئة من القول بالعدوى والصّفر والهامة.

٤-الطّباق:

الطّباق جمع بين الضّدين، والجمع بين الضّدين يزيد المعنى وضوحًا، ويكسبه جلاء، ويأتي ذلك من مقارنة المخاطب بين الضّدين المتقابلين، وهذا يمكن المعنى في النفس ويزيده وضوحًا ورسوخًا وتمكنًا، فإن إقناع شخص بحسن الذّكاء مثلًا يتم ببيان مثالب الغباء، وحين تتحدث عن فوائد الصّدق فعليك أن تبين أضرار الكذب، وبالتّالي تبرز محاسن الشيء الذي تريد إعلاء شأنه فيتمكن في نفس مخاطبك ووجدانه، فتعلو مكانته لديه

ويرفع قدره عنده، كما أن الطّباق يزيد المعنى قوة وتوكيدًا، وينفى كل أنواع الشك والتردد عند الطرف الآخر، هذا بالإضافة إلى ما في الطّباق من بعد جمالي[٤١]، قال حازم القرطاجنيّ[٤٢]: "فإن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات، وما جرى مجراها تحريكًا وإيلاعًا بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأن؛ تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعًا من سنوح ذلك لها في شيء واحد، وكذلك حال القبح، وما كان أملك للنفس وأمكن منها فهو أشد تحريكًا لها، وكذلك أيضاً مثول الحسن إزاء القبيح، أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخليًا عن الآخر لتبين حاله بالمثول إزاء ضده، فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبًا".

وفي حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية كان للطّباق أثرٌ بارزٌ في الإقناع والحجة، ومن ذلك قول الأعرابي في حواره مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن علمّه أركان الإسلام: "**والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص**"، فبين الزّيادة والنقص طباق إيجاب، والأعرابي يريد أنّه سيلتزم هذه الأركان الخمسة، ولن يفرط فيهن، وهذا ما فهمه منه النبي صلى الله عليه وسلم؛ لذا قال صلى الله عليه وسلم معقبًا على كلام الأعرابي: "**لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ**".

ومن شواهد الطّباق، ما ورد من حواره صلى الله عليه وسلم مع زاهر رضي الله عنه إذ قال صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حاضروه**"، فالبادية والحاضرة ضدان، فهذه الضديّة زادت المعنى وضوحًا.

ومن شواهده أيضًا في حديثه مع زاهر، ما ظهر في الحوار الذي دار بينهما: "**فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذًا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا. فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ**"، فبين كاسد، ولست بكاسد طباق سلب، لقد كان للطباق أثرٌ هامٌ في توضيح المعاني، وإقامة الحجةّ، وتقريرها في النّفوس.

٥-الأسلوب الحكيم:

وهو أسلوب بلاغيّ دقيق عرفه الخطيب بأنّه[٤٣]: "وهو تلقي المخاطِب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيها على أنه الأولى بالقصد، أو تلقي السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره؛ تنبيها على أنه الأولى بحاله، أو المهم له"، وهو أسلوب رائق يراعي نفسية المخاطب، ويجيبه بما هو له أحوج، وبه ألصق، وهو طريق للمجادلة الحسنة من غير تعنيف للمخاطب، كما أنّه يفتح أمامه مجالًا للتفكير والنظر، كما أنّه فيه من الإيجاز ما لا يخفى على البليغ، إن الأسلوب الحكيم يقوم على خاصية الاختيار، وفيه يختار المتكلم معنى وإجابة لم يتطلبها السّامع لغرض إقناعي تواصلي، كما أن فيه عدولًا عن أصل الإجابة وهذا فيه تشويق للمتلقي وتأثير في قناعاته[٤٤].

ومن شواهد الأسلوب الحكيم في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعراب وأهل البادية ما رواه أسامة بن شريك رضي الله عنه أنّه قال: "**شَهِدتُ الأعرابَ يسألونَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ: أعلينا حرجٌ في كذا؟ أعلَينا حرجٌ في كذا؟ فقالَ لَهم: عبادَ اللهِ! وضعَ اللهُ الحرجَ إلَّا منِ اقترضَ من عرضِ أخيهِ شيئًا؛ فذاكَ الَّذي حُرِجَ. فقالوا: يا رسولَ اللهِ، هل علينا جناحٌ ألّا نتداوى؟ قالَ: تداوَوا عبادَ اللهِ؛ فإنَّ اللهَ سبحانَهُ لم يضع داءً إلَّا وضعَ معَهُ شفاءً إلَّا الْهرمَ. قالوا: يا رسولَ اللهِ ما خيرُ ما أعطِيَ العبدُ؟ قالَ: خُلُقٌ حسنٌ**"

سأل الأعراب النبي صلى الله عليه وسلم سؤالًا صريحًا بيّنًا، هل علينا حرج في ترك التّداوي؟، فلم يجبهم صلى الله عليه وسلم، نعم عليكم حرج بترك التّداوي، ولكنّه أجاب إجابة أخرى، وهي "**تداوَوا عبادَ اللهِ**"، وفي هذا تلطُّفٌ منه صلى الله عليه وسلم معهم، فلم يرد أن يباشرهم بأنّ عليهم إثمًا، وإنمّا أجابهم بالحث على التّداوي.

ومما قد يلمح فيه الأسلوب الحكيم ما ورد في حواره صلى الله عليه وسلم مع أحد الأعراب فيما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "**قالَ أَعْرَابِيٌّ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، والرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، ويُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، مَن في سَبيلِ اللهِ؟ فَقالَ: مَن قَاتَلَ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي العُلْيَا، فَهو في سَبيلِ اللَّهِ**"، فالسائل كان ينتظر من النبي صلى الله عليه وسلم إجابة باختيار واحد أو أكثر مما ذكر، ولكنّ النبي صلى الله عليه وسلم أجابه بإجابة عامة شاملة، ووضع منهجًا عامًا، ولم يدخل في التّفاصيل، ولعله صلى الله عليه وسلم أراد أن يكون الجواب عامًا للأمة، ولو نفى صلى الله عليه وسلم كل ما ذكره السائل لربما ظّن أن غيره قد يدخل في أن يكون في سبيل، ولكن بجوابه صلى الله عليه وسلم قصره على ما ذكر فقط.

المبحث الرّابع: حجاجية الصّورة:

للأساليب البيانية قوة حجاجية في التّواصل والإقناع، وأعني بها هنا الصورة المعروفة عند علماء البيان،(التّشبيه، والمجاز، والكناية)، وللصّورة أثر فاعل في العملية الحجاجية، فهي" تلعب دورين؛ خارجيّ وداخلي، يتمثل دورها الخارجي في تسهيل عملية الحجاج، فهي تشدّ الانتباه من خلال خرق المعتاد، فتطبع الذّكرى في الذّهن، كما أنّه تلاؤم بين الأفكار والمستمع، أي تسهيل للمعالقة، أمّا دورها الدّاخلي فيتجلى في دخولها هي نفسها

في صلب الحجاج"[٤٥]، إنّ حجاجية الصورة تكمن فيما تثيره من انفعالات، وما تحركه في المخاطب من مشاعر معينة، تتبني عليها قناعاته، والمضي قُدمًا في الطّريق الذي رسمه له المتكلم، وهذا التّصور هو التّصور نفسه الذي بنيت عليه دراسات الصورة عند متقدمي البلاغيين، "إنّ الدّراسات الحجاجية الحديثة في الغرب لا تكاد تضيف شيئًا إلى ما كان قاله القدماء عن وظيفة الصّورة الفنية في الكلام من أنّها لجعل الغائب مشاهدًا ولإظهار المجرد في شكل المحسوس، ولتقوية الشّعور لدى المتلقي بحضور الأشياء من أجل حمله على الاقتناع وللتّأثير فيه"[٤٦].

١-للتّشبيه قيمة حجاجية كبيرة، فهو فطرة إنسانية، "حيث يميل الإنسان بفطرته إلى التّأكد من أن السّامع استوعب الفكرة تمامًا كما هي في نفسه، ويرغب المتكلم أن يشعر بأنّ السّامع أدرك الصورة التي يريد نقلها إليه مثلما أحس بها هو وشاهدها، ويشعر المرء بالارتياح والسّعادة إذا استطاع أن ينقل إلى الآخرين ما عنده من فكر وما مرّ به من تجربة؛ ولذا فإنّه يركن إلى التّشبيه بوصفه وسيلة حجاجية تمكنه من توصيل المعنى إلى قلب السّامع"[٤٧]

ولما للتّشبيه من قوة حجاجية بيّنة، فلم يخل حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعراب وأهل البادية من التّشبيه، فمنه ما ورد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك التّشبيه الضّمني في حواره صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي المتشكك في نسبة ولده إليه: "**فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، وُلِدَ لي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقالَ: هلْ لكَ مِن إبِلٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: ما أَلْوَانُهَا؟ قالَ: حُمْرٌ، قالَ: هلْ فِيهَا مِن أَوْرَقَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فأنَّى ذلكَ؟ قالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هذا نَزَعَهُ**".

ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم له:" **فَلَعَلَّ ابْنَكَ هذا نَزَعَهُ**"، تشبيه ضمني إذ شبه الغلام الذي خالف لونه لون والده بالجمل الأورق مع الأبل الحمر، ووجه الشّبه بينهما اكتساب لون مختلف عن لون المجموع لعرق نزعه من الأصول البعيدة، لقد أوصل هذا التّشبيه الضّمني الأعرابي إلى قناعة ثابتة بأنّ هذا الأمر ممكن، هذه القناعة ممتدة على الأجيال حتى اليوم، وهذه قوة حجاجية ظاهرة للتّشبيه.

ومن شواهده-أيضًا- التّشبيه الذي ورد على لسان أحد الأعراب في حواره مع النبي صلى الله عليه وسلم، حين قال:" **يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ، فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيُجْرِبُهَا كُلَّهَا؟ قَالَ: فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟**"

شبه الأعرابي الإبل السليمة التي لا تشكو علة ولا مرضًا ولا جَربًا بالظّباء، وهذا مرتبط بصورة ذهنية عند العرب عن الظباء بأنّها قويَّةٌ سريعةٌ خفيفةٌ صحيحة الجسم، هذا التّشبيه صور المعنى المراد، الذي يهدف إليه الأعرابي؛ وهو أنّ الإبل سليمة صحيحة الجسم، ولم يذكر ذلك صراحة ولم يقل ما بال الإبل تكون سليمة، وإنّما شبهها بالظباء، هذا التشبيه بيّن المعنى للنبي صلى الله عليه وسلم، ووصل من خلاله مراد الأعرابي؛ لذا أجاب عليه الصّلاة والسّلام بقوله: "**فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟**"، ففي "الصّورة التشبيهية تتعاون قوى النّفس (الفكر والخيال) في فهمها، لذلك كان التّشبيه أداة ناجحة في الوصول إلى الهدف، لما يترتب عليه من شغل الباطن، وشغل الحس الظّاهر، فهي تتملك النّفوس بكل ما فيها من قوى فكرية أو خيالية، علاوة على أنّ النّفس بها آنس، ولها أميل"[٤٨].

٢-للاستعارة قيمتها الحجاجية الإقناعية العظيمة، هذه القيمة أدركها علماء البلاغة قديمًا وحديثًا، بل وصفها القاضي الجرجانّي[٤٩] بأنها: "أحد أعمِدة الكلام، وعليها المعوَّل في التوسّع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر"، وقال عبد القاهر الجرجاني متغنّيًا بالقيمة البلاغية للاستعارة[٥٠]: "وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة، ومعها يستحق وصف البراعة، وجدتها تفتقر إلى أن تُعيرها حلاها، وتقصر عن أن تنازعها مداها، وصادفتها نجومًا هي بدرها، وروضًا هي زهرها، وعرائس ما لم تعرها حليها فهي عواطل، وكواعب ما لم تحسنها فليس لها في الحسن حظٌّ كامل، فإنك لترى بها الجماد حيًا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية"، إن الاستعارة فن يمتلك من القوى التّأثيرية والإقناعية ما يجعله مقصد كل محاور للتّأثير في صاحبه، قال ابن سينا:[٥١]"واعلم أن الرّونق المستفاد بالاستعارة والتّبديل سببه الاستغراب والتّعجب، وما يتبع ذلك من الهيبة والاستعظام والرّوعة، كما يستشعره الإنسان من مشاهدة النّاس الغرباء فإنّه يحتشمهم احتشامًا لا يحتشم مثله المعارف".

إن للاستعارة قدرة على التّأثير على المشاعر، فليس المراد بها النّواحي الجمالية فقط، وإنّما الهدف أثرها النّفسي والعاطفي، والإقناعيّ.

وقد تعدّدت الاستعارات في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعراب وأهل البادية، ومن شواهدها، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: "**بيْنَما النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أعْرَابِيٌّ فَقالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ ما قالَ فَكَرِهَ ما قالَ، وقالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حتَّى إذَا قَضَى حَدِيثَهُ قالَ: أيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ قالَ: هَا أنَا يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: إذَا ضُيِّعَتِ الأمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قالَ: كيفَ إضَاعَتُهَا؟ قالَ: إذَا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غيرِ أهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**"[٥٢]، ففي قوله صلى الله عليه وسلم: "**وُسِّدَ**"، استعارة مكنيّة، إذ شبّه إسناد الأمور لمن لا يستحقها بوضع الوسادة، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو (وُسِّدَ)،

على سبيل الاستعارة المكنية، قال الشّريف الرّضي: [٥٣]"إذا وسّد الأمر إلى غير أهله؛ وهذه استعارة، والمراد إذا أسند الأمر إلى غير أهله، فأقام الوساد هاهنا مقام السّناد؛ لأنّ المتوسد للشيء مستند إليه ومعتمد، وإنّما جعل عليه الصّلاة والسّلام الأمر مستندًا لهم؛ لأنّهم القائمون بأحكامه والمقيمون لأعلامه، فهم له كالمسّاك والسّناد، والدّعائم والعماد".

ومن الاستعارات في هذا السّياق، إسناد (نزع) إلى (عرق) في قوله صلى الله عليه وسلم:" **لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ**"، فقد استعير النّزع للاكتساب إذ شبه اكتساب الصّفات بالنّزع، وفي هذا قوةّ حجاجية إقناعية من ناحية العدول عن لفظ الاكتساب إلى لفظ النّزع بما فيه من قوة وإشارة إلى قوّة ذلك العرق الذي نزعه من أصوله البعيدة، وفي هذا إشارة إلى الرّجل بعدم القلق والتّشكك حتى لو لم يشاهد في الأجيال التي شاهدها من أهله أحد لونه أسود، لأن العرق الذي أصابه ربما يكون بعيد جدًا ولكن لقوته انتزعه انتزاعًا، وتأمل كيف أثرت مفردة واحدة كلّ هذا الأثر الإقناعيّ، إن ما يحمله التّصوير الاستعاري من عناصر إيحائية "يعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللّفظ حتى تخرج من الصّدفة الواحدة عدد من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعًا من الثّمر" [٥٤]، كما "تعدّ الاستعارة مثالًا واضحًا لتعدد المعاني؛ إذ إن كل كلمة تعطي لاستخدامها معنيين أو أكثر"[٥٥].

٣-الكناية، لون من ألوان الصورة البيانية بديع له قوة؛ حجاجية واضحة، ففيها القضيّة ودليلها، فالكناية كما قال عبد القاهر الجرجاني[٥٦]: "والمراد بالكناية ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلًا عليه، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد)؛ يريدون طويل القامة، و(كثير الرماد)؛ يعنون كثير القرى وفي المرأة (نؤوم الضحى)؛ والمراد أنّها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله، كما ترى، معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان؛ أفلا ترى أنّ القامة إذا طالت طال النجاد؟ وإذا كثر القرى كثر رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها، ردف ذلك أن تنام إلى الضّحى".

إنَّ الكناية هي الحجّة بذاتها، بل إنّها تتركك مجالًا للعقل والفكر أن يقيم روابط وعلاقات بين بين اللازم والملزوم تؤدي به إلى الاقتناع والتّسليم، ومن شواهده في حوار النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "**فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتْرَكَ مِن عَمَلِكَ شيئًا**"، كناية مؤثرة ومفادها أنّ الله عز وجل لن يقطع عنك ثواب عملك بل سيقرنك به، ذلك أنّ (الوتر) في اللّغة هو المنفرد[٥٧]، وفي هذه الكناية تثبيت لو صول أجر العمل، وأنّ الهجرة المستفهم عنها ليست شرطًا لقبول العمل.

الخاتمة:

وبعد، فالحمد لله على ما منّ به عليّ من إكمال هذه الدّراسة، التي عشتها مع حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية وقد خرجت منها بجملة من النّتائج أوجزها بالآتي:

١-تجلت في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية سمات وخصائص الخطاب الحجاجي الإقناعي، وبرز من خلاله الأثر الإقناعي للوسائل والأساليب البلاغية.

٢-تميزت مفردات حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية بالدّقة في اختيار المفردات، كما تميزت المفردات بالوضوح التّام، وعدم الحاجة للرّجوع إلى معاجم الغريب على الرّغم من تغير الزّمان، وتطور اللّغة.

٣-يعدّ توكيد الخبر عاملًا حجاجيًا هامًّا فهو يقوم بمهمة دفع الشّك والارتياب والإنكار عن المتلقيّ، وقد وظف توظيفًا حجاجيًّا فاعلًا في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية.

٤- لخصائص التّراكيب من حذف وذكر وتعريف وتنكير وفصل ووصل وقصر، أثرها في عمليات الإقناع في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية.

٥- حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية حوار قائم في غالبه على الاستفهام، المبني على السّؤال والجواب، لأغراض حجاجية وإقناعية، أبرزها إلزام الخصم بالحجة، ودفعه إلى التّسليم والرّضا.

٦- للأفعال الإنجازية-الأمر والنّهي- أثرهما الهام في الحجاج والإقناع في الحوار، وتوجيه المخاطب للقيام بالفعل أو الكفّ عنه، وقد أدّت مهمتها الحجاجية على الوجه الأكمل في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية.

٧-للطّباق قوة حجاجية تكمن في الجمع بين الضّدين، مما يزيد المعنى وضوحًا ويكسبه جلاء وتمكينًا في النّفس.

٨-الأسلوب الحكيم أسلوب رائق يراعي نفسية المخاطب، ويوجهه إلى الوجهة التي يريدها المتكلم، وقد استعمله الرّسول صلى الله عليه وسلم في حواره مع أهل البادية قوة، حجاجية، وأسلوب للتلطف مع المحاور.

٩- تكمن حجاجية الصورة البيانية فيما تثيره من انفعالات، وما تحركه في المخاطب من مشاعر معينة، تتبني عليها قناعاته، والمضي قُدما في الطّريق الذي رسمه له المتكلم، وهذا ما ذكره متقدمو البلاغيين العرب، وقد ظهر هذا الأثر للصورة البيانية (التّشبيه، الاستعارة، الكناية) في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل البادية.

التوصيات:

توصي الدّراسة بضرورة الربط بين البلاغة التّراثية وبين ما يعرف باسم البلاغة الجديدة؛ وإجراء المزيد من الدّراسات في هذا المجال، تحديثًا للبلاغة التراثية، وضبطًا للبلاغة الجديدة، وإظهارًا لجهود علماء البلاغة المتقدمين.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن الأثير الحلبي نجم الدين أحمد إسماعيل، "جوهر الكنز"،(دون ط، الاسكندرية: منشأة المعارف، دون ت)

ابن الأثير مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمد بن محمد الشّيبانيّ، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، (د. ط، بيروت: المكتبة العلمية،١٣٩٩هـ)

ابن المعتز عبدالله بن محمد، "البديع في البديع"، (ط١،دمشق: دار الجيل، ١٤١٠هـ)

ابن حيان محمد بن يوسف بن علي ،"البحر المحيط في التّفسير"،(دون ط، بيروت: دار الفكر،١٤٢٠هـ)

ابن سينا، "الخطابة من كتاب الشّفاء"، تحقيق: محمد سليم، (د٠ ط،:القاهرة، وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثّقافة،١٩٥٤)

ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا، "معجم مقاييس اللّغة"،(دون ط، القاهرة: دار الفكر،١٣٩٩هـ)

ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، "الفوائد"،(ط٢،بيروت: دار الكتب العلمية،١٣٩٣هـ)

ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، " سنن ابن ماجه"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية،د.ت)

ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، "لسان العرب"، (ط٣، بيروت: دار صادر،١٤١٤ هـ)

ابن وهب إسحاق بن إبراهيم الكاتب، "البرهان في وجوه البيان"(ط١،القاهرة،مكتبة السباب،١٣٨٩هـ):

أمقران شعبان، "تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان"، "المجلة التّعليمية"، العدد(١٥)،سبتمبر(٢٠١٥م)

أيمن ابو مصطفى، "الحجاج و وسائله في النّثر العربي القديم"، (ط١، طنطا: دار النّابغة للنشر والتّوزيع،١٤٣٩هـ)

الباجي أبو الوليد، "المنهاج في ترتيب الحجاج"، تحقيق: عبدالمجيد تركي،(ط١،لبنان:دار الغرب الإسلامي، دون ت)

البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، "صحيح البخاري"، تحقيق: مجموعة من العلماء،(ط١، بيروت: دار طوق النّجاة، ١٤٢٢هـ)

التّرمذي محمد بن سؤرة، "مختصر الشّمائل المحمّدية"، اختصره وحققه: محمد ناصر الدّين الألبانيّ، (ط١، الرّياض: مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، ١٤٠٥هـ)

تمام حسّان، "اللغة العربية معناها ومبناها"، (ط٥، القاهرة: عالم الكتب،١٤٢٧هـ)

الجرجانيّ عبدالقاهر بن عبدالرحمن أبوبكر، "أسرار البلاغة" ،(ط١، جدة: دار المدني، ١٤١٢هـ)

الجرجاني عبدالقاهر بن عبدالرحمن، "دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمود محمد شاكر،(ط٣،جدّة: دار المدني،١٤١٣هـ)

الجرجاني على بن عبدالعزيز،" الوساطة بين المتنبي وخصومه"، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي،(د. ط، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، د. ت)

الخطيب القزوينيّ، "الإيضاح مع البغية"، (طبعة نهاية القرن،القاهرة:١٤٢٠هـ)

الدّريدي سامية، "الحجاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه"، (ط٢، الأردن: عالم الكتب الحديث، ١٤٣٢هـ)

الرّاغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، المحقق: صفوان عدنان الدّاوي،(ط١،دمشق: دار القلم،١٤١٢هـ)

السّكاكي يوسف بن أبي بكر، "مفتاح العلوم"، (ط٢،بيروت:دار الكتب العلمية،١٤٠٧هـ)

الشّريف الرّضي محمد بن الحسين العلويّ، "المجازات النّبوية"، علّق عليه ووضع حواشيه: كريم سيد محمد محمود، (ط١، لبنان: دار الكتب العلميّة،٢٠٠٧م)

صولة عبدالله،" الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية"،(ط١، تونس:من منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، ٢٠٠١)

صولة عبدالله،" في نظريات الحجاج -دراسات تطبيقية-"،(ط١،تونس: مسكيلياني للنشر، ٢٠١١)

عبدالباري طه سعيد، "أثر التّشبيه في تصوير المعنى"، (د. ط، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٢م)
العمري محمد، "البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول"، (ط٢، المغرب، الدّار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠١٢م)
العينيّ بدر الدين محمود بن أحمد، "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي،(د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)
الفراهيدي الخليل بن أحمد، "كتاب العين"، (دون ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، دون ت)
فطيمة خلاف، "المرجعية الفلسفية لنظرية الحجاج _دراسة لمفهوم الحجاج عند أرسطو وطه عبدالرحمن"، "مجلة الرستمية"، العدد(٢ اكتوبر ٢٠٢٢)
الفهيد جاسم سليمان، "تيسير البلاغة النّبوية"، (ط١،الكويت:آفاق للنشر، ١٤٣٩هـ)
القرطاجنيّ حازم بن محمد بن حسن، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء،(ط٣، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٨٦م)
مانع بن حماد الجهني، "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة"،(ط٤،الرّياض:دار النّدوة العالمية للطباعة والنشر والتّوزيع، ١٤١٨)
محمدي يسية، "الآليات البلاغية ودورها الحجاجيّ"، "مجلة مفاهيم الفلسفية والإنسانية المعمقة"، العدد(١٠)اكتوبر (٢٠٢١)
النّيسابوري مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،(د.ط،ا لقاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،١٣٧٤هـ)
هبية بن قو، "أسلوب الحكيم بين القرآن والحديث النبوي الشّريف"،(رسالة ماجستير ١٤٢٧هـ)، الجمهورية الجزائرية، جامعة أبي بكر بلقايط، تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغّة والأدب، شعبة البلاغة والأسلوبية.
الهرري محمد الأمين بن عبد الله العَلَوي، "الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج"،(ط١، جدّة: دار المنهاج،١٤٣٠هـ)
الهروي أبو عبيد أحمد بن محمد،" الغريبين في القرآن والحديث"، تحقيق: أ. د. فتحي حجازي،(ط١،المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز،١٤١٩هـ)
يوسف أبو العدوس، "الاستعارة في النّقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية"، (ط١، المملكة الأردنية الهاشمية: الأهليّة للنشر والتّوزيع،١٩٩٧م)

---

[١]النّيسابوري مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،١٣٧٤هـ)،١:٤١.

[٢]ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، "لسان العرب"، (ط٣، بيروت: دار صادر،١٤١٤ هـ)٤:٢١٧.

[٣]الرّاغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، المحقق: صفوان عدنان الدّاوي، (ط١، دمشق: دار القلم،١٤١٢هـ)٢٦٢.

[٤] ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا، "معجم مقاييس اللّغة"، (دون ط، القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ) ٢:١١٥.

[٥] مانع بن حماد الجهني، "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة"، (ط٤، الرّياض: دار النّدوة العالمية للطباعة والنشر والتّوزيع، ١٤١٨)٧٨.

[٦]الفراهيدي الخليل بن أحمد، "كتاب العين"، (دون ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، دون ت)٣:١٠

[٧] ابن منظور ، "لسان العرب"، ٢:٢٢٦.

[٨]ابن المعتز عبد الله بن محمد، "البديع في البديع"، (ط١، دمشق: دار الجيل، ١٤١٠هـ) :٣١.

[٩] المصدر نفسه:٣١.

[١٠] ابن الأثير الحلبي نجم الدين أحمد إسماعيل، "جوهر الكنز"، (دون ط، الاسكندرية: منشأة المعارف، دون ت):٣٠٢.

[١١] المصدر نفسه:٣٠٢.

[١٢] ينظر: ابن حيان محمد بن يوسف بن علي، "البحر المحيط في التّفسير"، (دون ط، بيروت: دار الفكر،١٤٢٠هـ): ٣:٨٩، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، "الفوائد"، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية،١٣٩٣هـ): ١٣٦.

[١٣] ١٤- الباجي أبو الوليد، "المنهاج في ترتيب الحجاج"، تحقيق: عبدالمجيد تركي، (ط١، لبنان: دار الغرب الإسلامي، دون ت): ٣.

[١٤] ابن وهب إسحاق بن إبراهيم الكاتب، "البرهان في وجوه البيان" (ط١، القاهرة، مكتبة السباب،١٣٨٩هـ): ١٥٠.

[١٥] ينظر: فطيمة خلاف، "المرجعية الفلسفية لنظرية الحجاج _دراسة لمفهوم الحجاج عند أرسطو وطه عبد الرحمن"، "مجلة الرستمية"، العدد (٢ اكتوبر ٢٠٢٢): ١٠٧.

[١٦] ينظر: أمقران شعبان، "تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان"، "المجلة التّعليمية"، العدد(١٥)،سبتمبر(٢٠١٥م): ٢٢٣.

[١٧] ٤٧- صولة عبدالله،" في نظريات الحجاج –دراسات تطبيقية–"،(ط١،تونس: مسكيلياني للنشر، ٢٠١١): ١١٩.

[١٨]صولة عبدالله،" الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية"،(ط١، تونس:من منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، ٢٠٠١)٨٦.

[١٩] الدّريدي سامية، "الحجاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه"، (ط٢، الأردن: عالم الكتب الحديث، ١٤٣٢هـ)١٠٢.

[٢٠] ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، " سنن ابن ماجه"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت) ١١٣٧:٢ وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٢١] ابن الأثير مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمد بن محمد الشّيبانيّ، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، (د. ط، بيروت: المكتبة العلمية،١٣٩٩هـ)١:٣٦١.

[٢٢] ابن منظور، "لسان العرب"٣:٢١٦.

[٢٣] ابن منظور، "لسان العرب"٣:٢١٧.

[٢٤] الهروي أبو عبيد أحمد بن محمد،" الغريبين في القرآن والحديث"، تحقيق: أ. د. فتحي حجازي،(ط١،المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز،١٤١٩هـ)١:٣٧٥.

[٢٥] البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، "صحيح البخاري"، تحقيق: مجموعة من العلماء، (ط١، بيروت: دار طوق النّجاة، ١٤٢٢هـ)،١١٧:٢.

[٢٦]العينيّ بدر الدين محمود بن أحمد، "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي، (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)١٤:٩.

[٢٧] الهرري محمد الأمين بن عبد الله العَلَوي، "الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، (ط١، جدّة: دار المنهاج،١٤٣٠هـ)١٥:١٣٢.

[٢٨] النّيسابوري مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،(د.ط،ا لقاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،١٣٧٤هـ)،١:٤١.

[٢٩] ينظر: ابن منظور، "لسان العرب":١٢:٢٦٤.

[٣٠] البخاريّ، "صحيح البخاريّ"٤:٢٢٨٤.

[٣١] تمام حسّان، "اللغة العربية معناها ومبناها"، (ط٥، القاهرة: عالم الكتب،١٤٢٧هـ)٣٣٧.

[٣٢] قال الألبانيّ: "إسناده صحيح على شرط الشّيخين"، التّرمذي محمد بن سؤرة، "مختصر الشّمائل المحمّدية"، اختصره وحققه: محمد ناصر الدّين الألبانيّ، (ط١، الرّياض: مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، ١٤٠٥هـ)، ١٢٧-١٢٨.

[٣٣] الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن، "دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط٣، جدّة: دار المدني،١٤١٣هـ)١٤٦.

[٣٤] العيني، "عمدة القاري شرح صحيح البخاري":٩:١٤.

[٣٥] السّكاكي يوسف بن أبي بكر، "مفتاح العلوم"، (ط٢،بيروت:دار الكتب العلمية،١٤٠٧هـ) ١٦٨.

[٣٦] رواه مسلم في صحيحه:٤:١٧٤٢.

[٣٧] الخطيب القزوينيّ، "الإيضاح مع البغية"، (طبعة نهاية القرن،القاهرة:١٤٢٠هـ)، ١:٢١.

[٣٨] الفهيد جاسم سليمان، "تيسير البلاغة النّبوية"، (ط١،الكويت:آفاق للنشر، ١٤٣٩هـ)١٧٣.

[٣٩] صحيح البخاري، ٤:٢٠.

[٤٠] أيمن أبو مصطفى، "الحجاج ووسائله في النّثر العربي القديم"، (ط١، طنطا: دار النّابغة للنشر والتّوزيع،١٤٣٩هـ)،

[٤١] ينظر: محمدي يسية، "الآليات البلاغية ودورها الحجاجيّ"، "مجلة مفاهيم الفلسفية والإنسانية المعمقة"، العدد (١٠) اكتوبر (٢٠٢١)، ١١٦.

[٤٢]القرطاجنيّ حازم بن محمد بن حسن، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (ط٣، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٨٦م):٤٤-٤٥.

[٤٣]القزويني الخطيب، "الإيضاح مع البغية"١:١٢٠.

[٤٤] ينظر: **هبية بن قو**، *"أسلوب الحكيم بين القرآن والحديث النبوي الشّريف"*،(رسالة ماجستير١٤٢٧هـ)، الجمهورية الجزائرية، جامعة أبي بكر بلقايط، تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغّة والأدب، شعبة البلاغة والأسلوبية،٧٩-٨٤.

[٤٥] العمري محمد، "البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول"، (ط٢، المغرب، الدّار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠١٢م)٢٤.

[٤٦] صولة عبدالله،" الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية"٤٩٥.

[٤٧] أيمن أبو مصطفى، "الحجاج و وسائله البلاغية في النّثر العربي"١٣٧.

[٤٨] عبدالباري طه سعيد، "أثر التّشبيه في تصوير المعنى"، (د. ط، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٢م)١٠-١١.

[٤٩] الجرجاني على بن عبدالعزيز،" الوساطة بين المتنبي وخصومه"، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي،(د. ط، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، د. ت)٤٢٨.

[٥٠] الجرجانيّ عبدالقاهر بن عبدالرحمن أبوبكر، "أسرار البلاغة" ،(ط١، جدة: دار المدني، ١٤١٢هـ):٤٣.

[٥١] ابن سينا، "الخطابة من كتاب الشّفاء"، تحقيق: محمد سليم، (د٠ ط،:القاهرة، وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثّقافة،١٩٥٤).٢٠٣.

[٥٢] صحيح البخاري،١:٢١.

[٥٣] الشّريف الرّضي محمد بن الحسين العلويّ، "المجازات النّبوية"، علّق عليه ووضع حواشيه: كريم سيد محمد محمود، (ط١، لبنان: دار الكتب العلميّة،٢٠٠٧م)٢٣٢.

[٥٤] يوسف أبو العدوس، "الاستعارة في النّقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية"، (ط١، المملكة الأردنية الهاشمية: الأهليّة للنشر والتّوزيع،١٩٩٧م)،٢٢٢.

[٥٥] أيمن أبو مصطفى، "الحجاج ووسائله في النّثر العربي القديم"، (ط١، طنطا: دار النّابغة للنشر والتّوزيع،١٤٣٩هـ)،١٥١.

[٥٦] الجرجاني عبدالقاهر، "دلائل الإعجاز"،١٠٥.

[٥٧] ابن منظور، "لسان العرب"٥:٢٧٤.